

داء الغفلة

ربنا لك الحمد، لا إله إلا أنت سبحانك،

لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك.

سبحانك ماذا فقد من وجدك؟!

وماذا وجد من فقدك؟!

عجباً للقلوب! كيف استأنست لسواك؟!

سبحانك عميت عين لا تراك عليها رقيباً!

سبحانك من للمسيء إذا أناب وعاد

يطلب رضاك؟!

من للذي ضلَّ الطريق وعاد ملتمسًا هداك؟!

ربّاه إنا في حماك، فلا تكلنا لسواك.

أما بعد: أيها الإخوة

إنَّ الغفلة داء خطير، إذا ابتلي به الإنسان؛ حجزته عن الخيرات، وغمسته بالردائل! فهي آفة عظيمة يجب على الإنسان أن يتسلَّح بتقوى الله، وأن يقاوم السقوط بمستنقعها، قال أبو نواس: أشعر الناس أبو العتاهية حيث قال: "الناس في غفلاتهم، ورحى المنية تطحن". ف قيل له: من أين أخذ هذا؟ قال: من قوله تعالى: ﴿اِقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ [الأنبياء 1]. هذا تنبيه من الله عزوجل على اقتراب الساعة ودنوها، وأن الناس في غفلة عنها؛ أي: لا يهتمون بها، ولا يستعدون من أجلها، أتعلمون ما الأثر الذي تركته هذه الآفة في نفوس الصحابة -رضوان الله عليهم-؟ روي أن عامر بن أبي ربيعة -رضي الله عنه- نزل به رجل من العرب فأكرم مثواه، وكلم فيه رسول الله ﷺ، فجاءه الرجل فقال: إني استقطعت من رسول الله واديًا، وقد أردت أن أقطع لك منه قطعة تكون لك ولعقبك من بعدك، أتعلمون ما كان جوابه؟ قال عامر: لا حاجة لي في قطعتك، نزلت اليوم سورة أذهلتنا، وقرأ: ﴿اِقْتَرِبْ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَّعْرُضُونَ﴾ [الأنبياء 1].

أما نحن الآن في غفلة عظيمة؛ حيث أننا مُنكبون وغارقون في ملهيات الحياة؛ من ركض وراء المال والسلطة والشهرة! وأوقات فراغنا مليئة بوسائل التواصل الاجتماعي! وغزو لأوقات طاعاتنا على حساب

الانترنت، وكأننا خُلِقنا للدنيا وللملهيات، متناسين لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات 56]

للغفلة أضرار جسيمة، منها: أنها تبعد العبد عن ربه، وتقسي قلبه، وتحجزه عن الخيرات، وتجعله ينكبُّ على المنكرات والشهوات والشبهات، وتدعو لطول الأمل؛ ومن أطال الأمل؛ أساء العمل!

الغفلة هي أساس المصائب، ويتفرع عنها نزول البلاء؛ لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمُ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾ [الأنعام ٤٤]. قال قتادة في تفسير هذه الآية: بغت القوم أمر الله، وما أخذ الله قومًا قط إلا عند سكرتهم وغفلتهم، فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون.

يتفرع عنها أيضًا: دوام البؤس والشقاء؛ لأن من أكثر ما يدعو للغفلة: ترك ذكر الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾ [طه ١٣٤]. ومن الأضرار أيضًا: تسلُّط الأعداء، قال تعالى: ﴿إِنَّمِنَ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ﴾ (97) وَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ﴾ [الأعراف ٩٧- ٩٨]. فمن هذه الآيات، نعلم أن سبب تكالب الأعداء علينا هو: غفلتنا عن دفعهم عنا، وكذلك يجب علينا مباغثة الأعداء كما في السيرة من عبر. كيف فُتحت دمشق؟

أخيراً
أنت

داء

الغفلة



فالعلاج الأول هو: دوام الذكر؛ فدوام ذكر الله تعالى شفاء للقلوب من كل الأسقام. **والثاني:** دوام حياة القلب، واستشعار الرقابة الإلهية، فقلب المؤمن الحي لا تغدربه الغفلة، ثم عليه بالدعاء وحسن الضراعة بأن يزيح عنه الغفلة ويعيد قلبه للطريق الصحيح، ثم ليعتني بالعلم النافع المستمد من الوحي؛ فذلك موصل إلى الله تعالى، وعليه بمجالسة الصالحين وأهل الجد والصلاح فإن الجليس مؤثر بجليسه ولا بد أن يعلق عليه مما فيه. **والأهم:** أن يغلخ عن نفسه هذه المنافذ الموصلة للغفلة، وما أكثرها في زماننا، كمواقع التواصل المليئة بالشهوات والشبهات؛ فمشاهدة الناظر بعينه وسماعها بإذنه يوصل الغفلة لقلبه، فهذا يؤدي بالنتيجة القطعية لقسوة القلب، فاعتبروا يا أولي الأبصار، يا ابن العشرين كم مات من أقرانك؟ وتخلفت يا ابن الثلاثين! أدركت الشباب فما تأسفت يا ابن الأربعين! ذهب الصبا وانت على اللهو قد عكفت يا ابن الخمسين! أنت زرع قد دنا حصاده، قد تنصفت المئة وما أنصفت يا ابن الستين! هيا إلى الحساب فأنت على معترك المنية قد أشرفت يا ابن السبعين! ماذا قدمت وماذا أخرت يا ابن الثمانين؟! لا عذر لك قد أعذرت!
اللهم أخرجنا من وحل غفلتنا، وتب علينا، واختم بالباقيات الصالحات أعمالنا وأعمارنا ولا تبتلينا في ديننا يا أكرم الأكرمين، والحمد لله رب العالمين.

أليس بسبب اغتنام سيدنا خالد -رضي الله عنه- فرصة المولود الذي وُلد لأميرهم فشرّبوا لذلك وسكروا؛ فانقض عليهم جيش المسلمين؟
انظروا، إنّ أحد أوصاف أهل الضلال في القرآن: الغافلون، ومنه شُبِّهوا بالبهائم! حيث قال تعالى: {سَأُولِيكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ} [الأعراف ١٧٩]. أي: هم أسوء من تلك الأنعام السارحة، فإن تلك الأنعام تعقل أنها خُلقت للرعي والأكل، ولكن هؤلاء خُلقوا للعبادة، ومع ذلك هم غافلون عنها. فالغفلة -كما قال الطاهر بن عاشور:- هي عدم الشعور بما يجب الشعور به. المؤمن يشعر بوجود الله وقربه، ويتلذذ بمناجاته والتوكل عليه والاستعانة به، أما الغافلون الراكنون إلى الدنيا المنشغلون بها عن الآخرة، أولئك أضل من الأنعام!

**كيف قرّرت لأهل العلم أعينهم
أو استلذوا لذيق النوم أو هجعوا؟!**

قال ابن القيم -رحمه الله:- "جعل الله سبحانه للحسنات والطاعات آثار محبوبة لذيدة، وللطاعة لذة تفوق لذة المعصية بأضعاف مضاعفة!"
يتعافى الإنسان كلما هجر ذنبًا، كلما نهى نفسه عن هواها، هذا علاج الغفلة. قال ابن القيم -رحمه الله:- "فالقلب كلما اشتدت به الغفلة؛ كلما ازدادت به القسوة، فإذا ذكّر الله؛ ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص في النار".